﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ [فاطر: 29 - 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الانتقالُ من إجمالِ الخشيةِ إلى بيانِ تفاصيلِ أهلِها

لمّا ذكرَتِ الآياتُ السّابقة تباينَ المخلوقات في ألوانِها، واختلافَ النّاسِ في خشية للّه تعالى في العِلْم والعمل والعبادة، ناسبَ الانتقالُ إلى بيان حقيقةِ هذه الخشية، وشرحِ مضمونها بشكلٍ وافٍ، ولفظٍ واضح، فبيَّن صفاتِهم بأنَّهم الذين يتلون القرآنَ، ويُقيمون الصّلاةَ، وينفقون من رزقِ اللّه تعالى، فهم جامعون للخيرِ كلِّه، حريصون على الرّضوان جميعِه، وهذه هي الخشية التي مُدِحوا بها، واستحقّوا الثّناءَ البالغَ عليها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تِجَٰرَةٗ﴾: (تجر) أصلٌ يدلُّ على التَّصرُّفِ في المالِ بيعًا وشراءً طلبًا للرِّبح[1]، والتّاجرُ: هو الَّذي يبيعُ ويشتري[2]، وتُستعارُ التِّجارةُ للحِذْقِ في الشَّيءِ، فيقالُ: فلانٌ تاجرٌ في كذا، أي: حاذقٌ فيهِ[3]، والمرادُ بها هنا: طلبُ الثَّوابِ بالطّاعة[4].

2) ﴿تَبُورَ﴾: (بور) أصلٌ يدلُّ على هلاكِ الشَّيءِ وما يُشبِهُهُ مِنْ تعطُّلِهِ وخُلُوِّهِ[5]، والبَوارُ أيضًا: الكسادُ[6]، يقالُ: سوقٌ بائرةٌ، أي:

(1) الرّاغب، المفردات: (تجر).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: 10/ 278.
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (تجر).
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 611، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 22/ 127.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بور).
(6) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (بور).

كاسدةٌ، وبارَتِ البياعاتُ، أي: كَسَدَتْ[1]، والمرادُ بعدمِ البَوارِ هنا: عدمُ الكسادِ، أو عدمُ الهلاكِ[2].

3) ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾: (وفي) أصلٌ يدلُّ على إكمالٍ وإتمام[3]، يقالُ: وفَى ووَفَّى وأوفَى[4]، والوافي: هو الَّذي بلغَ التَّمامَ[5]، والتَّوفيةُ: تتميمُ الشَّيءِ[6]، وجعلُهُ وافيًا، أي: تامًّا، لا نقصَ فيهِ ولا غَبْنَ، وهو المرادُ هنا[7].

4) ﴿أُجُورَهُمْ﴾: الأجرُ: ما يعودُ مِنْ ثوابِ العملِ دنيويًّا كانَ أو أُخرويًّا، ويقالُ في عقدٍ وما يَجري مَجْرَى العقدِ، ويقالُ في نفعٍ دونَ ضَرٍّ[8]، والمرادُ بالأجورِ هنا: ثوابُ الأعمالِ[9].

5) ﴿شَكُورٌ﴾: (شكر) أصلٌ يدلُّ على الثَّناءِ على الإنسانِ بمعروفٍ أدّاهُ لغيرِهِ[10]، والشُّكرُ ثلاثةُ أنواعٍ: شكرُ القلبِ، وهو تصوُّرُ النِّعمةِ، وشكرُ اللِّسانِ، وهو الثَّناءُ على المُنعِمِ، وشكرُ سائرِ الجوارحِ، وهو مكافأةُ النِّعمةِ بقدرِ استحقاقِ المُنعِمِ، وإذا وُصِفَ اللّهُ بالشُّكرِ فإنَّما يُعنَى بذلكَ إنعامُهُ على عبادِهِ، وجزاؤُهُ لهُم على عبادتِهم[11]، وهو المرادُ هنا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أهـلُ الخشيةِ عُقْباهم جنّاتُ النّعيم

تُبيِّن الآيتان الكريمتان صفاتِ العلماءِ والمؤمنينَ الَّذينَ يخشونَ اللّهَ، وتذكر مآلَهم، فهم الَّذينَ يقرؤونَ القرآنَ، ويحافظون على

(1) الخليل، العين: 8/ 285.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 258.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وفي).
(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (وفي).
(5) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (وفي).
(6) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (وفي).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 307.
(8) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (أجر).
(9) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 87.
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شكر).
(11) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (شكر).

الصَّلواتِ وأوقاتِها وأركانِها وشرائطِها، ويصدَّقون بما رزقهم اللّه تعالى من واسع فضله، مِنَ الأموالِ في الخفاءِ والعلانيةِ، وفي جميعِ الأحوالِ؛ يرجونَ بذلكَ تجارةً لن تكسدَ، ليُثيبَهُم اللّهُ تعالى على ذلكَ أتمَّ الثَّوابِ، ويزيدَ حسناتِهم تفضُّلًا منهُ، إنَّهُ غَفورٌ لِما فَرَطَ منهُم مِنَ السَّيِّئاتِ، شَكورٌ لحسناتِهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علّةُ فصلِ الجملة عمّا قبلها:

استئنافٌ لبيان ما قبلَها

فُصِلَ قولُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافٌ لبيانِ جملةِ ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، فكأنَّهُ قيلَ: هم الَّذينَ يحافظونَ على كتابِ اللّهِ علمًا وعملًا[1].

غرضُ التَّوكيدِ:

تنبيهُ المتهاونين والتّنويه بالتّالين

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾؛ للتَّنبيهِ على أهمّيَّةِ المحافظةِ على تلاوةِ القرآنِ الكريمِ، وأنَّها عندَ اللّهِ تعالى بمكانٍ عظيمٍ، وللرَّدِّ على مَنْ يظنُّ مِنَ الكفّارِ وغيرِهم مِنَ العُصاةِ أنَّ التّالينَ كتابَ اللّهِ مِنَ الخاسرينَ بما ضيَّعوا مِنْ عاجلِ دنياهم[2]، وهي كذلك تنبيهٌ وتحذيرٌ لمن يرى أنَّ تلاوة القرآنِ ليس بالشّيءِ العظيمِ، فبيّنت الآيةُ أنَّ تلاوةَ القرآن الكريم من أسباب الفوزِ بالدّارين، والنّجاة عند حسابِ الثّقلَين.

غرضُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

تلاوةُ القرآنِ برهانُ الخشيةِ والإيمانِ

جاء التّعبير بالاسمِ الموصولِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾؛ للدّلالةِ على أنَّ العلماءَ والمؤمنينَ قدِ اشتُهروا بتلاوةِ القرآنِ، وعُرِفوا بها[3]، وهو أيضًا كنايةٌ عن إيمانِهم؛ لأنَّهُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 49، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 305.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 49.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 365.

لا يتلو القرآنَ إلّا مَنْ آمنَ به، وتلقّاهُ بعنايةٍ[1]، وهو تعليلٌ لما نالوه من الشّرفِ المرومِ، والمكانة العليّة، فإنَّ تلاوة القرآنِ جاءت صلةً للموصول؛ لتعليلِ سببِ الكرامة التي نالوها، والمكانة التي حَظوا بها، وهو ما يُؤكِّد موقعَ التّلاوة من بيان معنى الخشية.

فائدةُ التّعبير بصيغةِ المضارعِ:

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّهم يداومونَ على قراءةِ كتابِ اللّهِ، وهي شأنُهم ودَيْدَنُهم على الاستمرارِ[2]، كلَّما نزلَ مِنَ القرآنِ شيءٌ، وبعدَ كمالِ نزولِ القرآنِ[3]، ويساعدُهُ مقامُ المدحِ، نحوُ قولِهم: فلانٌ يَقْري الضَّيفَ، ويَحْمي الحريمَ[4]، فالمرادُ أنَّهُ يفعلُ ذلكَ على الاستمرارِ، وفي ذلكَ حثٌّ للمؤمنينَ على الإكثارِ مِنْ تلاوتِهِ، وعدمِ التَّقصيرِ فيها، وعلى القولِ بحملِ التِّلاوةِ على اتِّباعِ القرآنِ والعملِ بما فيهِ؛ يفيدُ الكلامُ أنَّهم يعملونَ بكتابِ اللّهِ، ويقفونَ عندَ حدودِهِ على الاستمرارِ؛ لأنَّ التِّلاوةَ دونَ عملٍ ليسَ فيها كبيرُ نفعٍ[5]، والعمل بالقرآن لازم التّلاوةِ، وتالي الخشيةِ والمهابة.

دَيْـدَنُ العلماءِ تـلاوةُ الـقرآنِ، وديـدنُ غيرِهم التّشاغلُ عنه

دلالةُ إضافةِ القرآنِ للفظ الجلالةِ:

الظّاهرُ أنَّ المرادَ بكتابِ اللّهِ القرآنُ[6]، والإضافةُ للعهدِ، وقد عُدِلَ عنِ اسمِهِ العلَمِ إلى اسمِ الجنسِ المضافِ لاسمِ الجَلالةِ؛ لِما في إضافتِهِ إليهِ تعالى مِنْ تعظيمِ شأنِهِ[7]، وجوِّزَ أن يكونَ المرادُ بهِ جنسَ الكتبِ الإلَهيَّةِ، فيكونُ ثناءً على المُصدِّقينَ مِنَ الأممِ جميعًا[8]،

تعظيم المضافِ إلى العظيم، وتعيين المراد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 305.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 611.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 49، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 306.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 651.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 365.
(6) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 258.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 306.
(8) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 258.

فيدخلُ فيهم أمَّةُ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ دخولًا أوَّليًّا[1]، ويَرِدُ على هذا القولِ أنَّ صيغةَ المضارعِ تُنادي باستمرارِ مشروعيَّةِ تلاوتِهِ والعملِ بما فيهِ، واستتباعِهما لِما سيأتي مِنْ توفيةِ الأجورِ، وزيادةِ الفضلِ، وذلكَ لا يكونُ إلّا للقرآنِ النّاسخِ لِما بينَ يديهِ مِنَ الكتبِ[2].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ:

توريثُ المهابةِ والجلالةِ والرّغبةِ والرّهبةِ

عُبِّرَ بلفظِ الجلالةِ في قوله ﷻ: ﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾؛ لدلالتِهِ على صفاتِ الجمالِ والجلالِ والكمالِ[3]، وفي ذلكَ تعظيمٌ للكتابِ المضافِ إليهِ؛ إذ كتابُ ذي العظَمةِ والجلالِ عظيمٌ، وتعظيمٌ لتالي هذا الكتابِ الكريمِ، وتنبيهٌ على أنَّهُ لا ينبغي لهُ أنْ يُقبِلَ على غيرِهِ، فهو يورِّث المهابةَ في قلوبِ التّالين له، والجلالَ في عقول المتفكّرين فيه، والرّغبةَ في أفئدة العاملين بمقتضاه، والرّهبةَ في صدور المخالفين لأوامره ونواهيه.

مناسبة عطف إقامة الصّلاة على التّلاوة:

أبدانُ أهلِ القرآنِ مشغولةٌ بطاعةِ الرّحمن

قولُهُ تعالى: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾، فيكونُ داخلًا معَهُ في حيِّزِ الصِّلةِ، ونُكْتَةُ هذا العطفِ: أنَّهُ أتبعَ ما هو علامةُ قبولِ الإيمانِ والعِلْمِ بهِ تعالى بعلامةٍ أخرى، وهي إقامةُ الصَّلاةِ؛ فهي أعظمُ الأعمالِ البَدَنيَّةِ[4]، وأنَّهُ جعلَ لفعلِ القلبِ الَّذي هو الخشيةُ دليلًا باللِّسانِ، ودليلًا آخرَ بالأركانِ، وأنَّ الصَّلاةَ مِنْ مواطنِ قراءةِ القرآنِ ومناجاةِ اللّهِ تعالى بهِ[5].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالماضي:

الصَّلاةُ مِنْ أوائلِ فرائضِ الإسلامِ

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ دونَ

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 244.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 152.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 49.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 306.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 49 - 50.

المضارعِ كما في تلاوةِ القرآنِ؛ للدّلالةِ على تحقُّقِ إقامةِ الصَّلاةِ ووقوعِها[1]؛ فالصَّلاةُ عمادُ الدّينِ، ومِنْ أوائلِ ما يُشادُ منهُ، ولأنَّ فرضَ الصَّلاةِ قد تقرَّرَ، وعَملوا بهِ، فلا تجدُّدَ فيهِ، وامتثالُ الَّذي كُلِّفوا بهِ يقتضي أنَّهم مداومونَ عليهِ[2]، وللإيماءِ إلى أنَّ مدحَ الذين يخشون اللّه تعالى هم من يتجدَّدُ إيمانُهم بتلاوة القرآن، وتثبتُ أركانُهم وسلوكهم على الهدى بتحقُّقِ إقامة الصّلاة.

بلاغةُ الاستعارة في لفظِ الإقامةِ:

إقامةُ الصّلاة في ذاتِها ومستتبعاتها في الحياةِ كلِّها

في قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ استعارةٌ لطيفةٌ، وذلكَ أنَّ إقامةَ الصَّلاةِ جَعْلُها قائمةً، وهو مأخوذٌ مِنْ قامَتِ السّوقُ، إذا تداولَ النّاسُ فيها البيعَ والشِّراءَ، وأصلُ القيامِ في اللُّغةِ: هو الانتصابُ المضادُّ للجلوسِ والاضطجاعِ، وإنَّما يقومُ القائمُ لقصدِ عملٍ صعبٍ، لا يتأتَّى مِن قُعودٍ، كقيامِ الخطيبِ والعاملِ، فكانَ للقيامِ لوازمُ عُرفيَّةٌ، ولذلكَ أُطلِقَ مجازًا على النَّشاطِ في قولِهم: قامَ بالأمرِ، وهو مِنْ قبيلِ المجازِ المُرسَلِ، وشاعَ فيها حتَّى ساوَى الحقيقةَ، فصارَتْ كالحقائقِ، فصحَّ بناءُ المجازِ الثّاني والاستعارةِ عليها، فإقامةُ الصَّلاةِ استعارةٌ تبعيَّةٌ، شُبِّهَتِ المواظبةُ على الصَّلواتِ والعنايةُ بها بجَعْلِ الشَّيءِ قائمًا[3]، فشأنُ المؤمنينَ أن يفعلوا الصَّلاةَ في أوقاتِها، معَ كمالِ أركانِها وأذكارِها[4]، والمواظبةُ عليها هو إقامتُها في ذاتِها، وإقامةُ مستتبعاتِها في الحياةِ كلِّها، منَ الأقوال والأفعال، فهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتأمر بالمعروفِ والرّشاد.

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾:

الصّـلاةُ اسـمٌ جامعٌ للفرائضِ والنّوافل

الصَّلاةُ المقصودةُ في قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هي العبادةُ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 34، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 49.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 306.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 231.
(4) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 399.

المخصوصةُ المشتملةُ على قيامٍ وقراءةٍ وركوعٍ وسجودٍ وتسليمٍ، والظّاهرُ أنَّ تعريفَها للجنسِ الشّاملِ للصَّلواتِ المفروضةِ وغيرِها، كما هو مُقتضَى مقامِ المدحِ؛ فالمؤمنُ العالمُ يُكثرُ مِنَ الصَّلَواتِ، ويحافظُ عليها، ويُقيمُها على أكملِ صورةٍ فَرْضًا كانَتْ أو نفلًا؛ فإنَّ مقتضى الفريضة، المحافظةُ عليها بالنّافلة.

مناسبة عطف الإنفاق على إقامة الصّلاة:

الصّدقة برهانُ الصّلاةِ، والصّلاة وعاءُ التّلاوة

عُطِف قولُهُ تعالى: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ على ما قبلَهُ، ومن فوائدِ هذا العطفِ: أنَّهُ أتبعَ ما هو علامةُ قبولِ الإيمانِ والعِلْمِ به تعالى بعلامةٍ أخرى، وهي إقامةُ الصَّلاةِ، ثمَّ أتبعَها بعملٍ عظيمٍ مِنَ الأعمالِ في المالِ، وهو الإنفاقُ[1]؛ لأنَّ بذلَ المالِ يشقُّ على النُّفوسِ، فكانَ لهُ مِنَ الأهمّيَّةِ ما جعلَهُ ثانيًا للصَّلاةِ، وهو يقترنُ بها كثيرًا في القرآنِ، وأنَّهُ جعلَ لفعلِ القلبِ الَّذي هو الخشيةُ دليلًا باللِّسانِ، وآخرَ بالأركانِ، وثالثًا بالأموالِ، وأنَّهُ لمّا ذكرَ الوُصْلةَ بينَهم وبينَ الخالقِ؛ ذكرَ إحسانَهم إلى الخلائقِ[2]، وأنَّ الصَّلاةَ والإنفاقَ رأسُ العباداتِ، فذِكْرُهما هنا يعني أنَّهم أطاعوا اللّهَ بأنواعِ العباداتِ[3]، والإنفاقُ برهانُ صدقِ الصّلاة، كما أنَّ الصّلاة وعاءُ تلاوة القرآن.

بلاغةُ استعمالِ مفردة الإنفاق:

مَن أنفق مالَه لم ينتظر مآلَه

آثرَ النّظم الكريم استعمالَ مفردةِ الإنفاق دونَ التّصدّق ونحوه في قوله تعالى: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾؛ لبيانِ أنّ هذه النّفقة قد خرجت من أيدي المتصدّقين، وهم لا يرجون من ورائها رجوعًا، فالإنفاق هو الذّهاب بلا أمل عودة، كنَفَقِ الدّراهم، ونَفَقَ فلانٌ، أي: مات، فهم لا يأملون من وراء الصّدقات إلّا رضا الرّحمن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: 9].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 306.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 50.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 61.

نُكْتَةُ صيغةِ الماضي:

إنفاقُ الصّدقات لا يتبعه امتنانٌ أو نُكران

جيءَ في قوله جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ بفعلِ المُضيِّ دونَ المضارعِ كما في تلاوةِ القرآنِ؛ لأنَّ الصَّدقةَ قد تقرَّرَتْ، وعملَ بها المسلمونَ، والمقصودُ بالمضيّ أنّهم أنفقوا أموالَهم في سبيل تحقيق رضا اللّه تعالى، دون أن يلحق ذلك أدنى منٍّ أو أذًى، فهم أنفقوا صدقاتِهم ولم يُجَدِّدوا التّفكير فيها؛ لأنَّها أصبحت في حُكم المنسيّة، فلا أثرَ لها إلّا طلبُ الأجرِ والثّواب، بخلافِ تلاوةِ القرآنِ الَّتي تتكرَّرُ باستمرارِ النُّزولِ، وتكرُّرِ تلاوةِ ما قد نزلَ، وامتثالُ المسلمينَ ما كُلِّفوا بهِ يقتضي أنَّهم مُداومونَ عليهِ[1]، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى عنايةِ الإسلامِ منذُ بُزوغِ فجرِهِ بالإحسانِ إلى الخَلْقِ، ومواساتِهم بالمالِ، حتَّى جُعِلَ ذلكَ مِنْ علاماتِ العلماءِ العاملينَ الَّذينَ يخشونَ اللّهَ تعالى حقَّ خشيتِهِ.

نوعُ (مِنْ) ودلالتُها:

التّكليف بحسبِ الطّاقةِ في الفرائض والنّوافل

(مِنْ) في قوله تعالى شأنُهُ: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ تبعيضيَّةٌ، والمعنى: بعضَ ما رزَقْناهم، وفي ذلكَ تنبيهٌ على أنَّ اللّهَ تعالى لم يُكلِّفِ النّاسَ بما يَشُقُّ عليهم، فلم يُكلِّفْهم بإنفاقِ جميعِ أموالِهم، وإنَّما كلَّفَهم بإنفاقِ شيءٍ مِنَ المالِ، يكونُ فيهِ مواساةٌ للفقراءِ والمساكينِ، وتطهيرٌ للنُّفوسِ مِنَ الشُّحِّ، وفيهِ تنبيهٌ أيضًا على أنَّهم لم يُسرِفوا، ولم يَبسطوا أيديَهم كلَّ البسطِ[2].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

إنفاقُ الأموال في سبيل الله معَ استحضار أنّها رزق الله تعالى

عُبِّرَ بالموصولِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾؛ لبيانِ أنَّهم يُنفقون أموالهم في سبيل اللّه تعالى، وهم يستحضرون أنَّها رزق اللّه تعالى، وفي ذلكَ حثٌّ على الامتثالِ، وأداءِ حقِّ شكرِ النِّعمةِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 306.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 365.

غرضُ الالتفاتِ:

إدماجُ الامتنانِ بشُكرِ المنّان

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (وأنفقوا ممّا رزقَهم)، لكنّ التُفِتَ النّظمُ مِنَ الغَيبةِ إلى التَّكلُّم في قوله: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾؛ لأنَّ في الآيةِ إدماجًا للامتنانِ، وإيماءً إلى أنَّهُ إنفاقُ شكرٍ على نعمةِ اللّهِ عليهم بالرِّزقِ، فهم يُعطونَ منهُ أهلَ الحاجةِ، والالتفاتُ أنسبُ بالامتنانِ[1].

بلاغةُ الإسنادِ إلى ضميرِ العظَمةِ:

المالُ مَحْضُ فضلٍ مِنَ اللهِ على العبدِ

أُسنِدَ فعلُ الرِّزقِ إلى نونِ العظَمةِ في قوله تعالى: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾؛ تعظيمًا لشأنِ الرِّزقِ الَّذي تتأتَّى بهِ مصالحُ النّاسِ ومعايشُهم، وتنبيهًا على أنَّهُ منهُ وحدَهُ سبحانَهُ، لا بحولٍ منهُم ولا قوَّةٍ[2]، وفي إسنادِ الفعلِ إلى ضميرِ اللّهِ تعالى، وجعلِ مفعولِهِ ضميرَهم؛ تنبيهٌ على أنَّ ما يصيرُ الرِّزقُ بسببِهِ رزقًا لصاحبِهِ هو حقٌّ خاصٌّ لهُ، خوَّلَهُ اللّهُ إيّاهُ بحكمِ الشَّريعةِ على حسَبِ الأسبابِ والوسائلِ الَّتي يتقرَّرُ بها مِلْكُ النّاسِ للأموالِ والأرزاقِ[3].

غرضُ التَّعبيرِ بالماضي:

إحسانُ العبدِ فضلٌ مِنَ اللهِ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قوله تعالى: ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾؛ لأنَّ رزقَ اللّهِ تعالى لهُم قد تحقَّقَ وثبتَ قبلَ أنْ يُنفِقوا منهُ، وفي ذلكَ مزيدُ حثٍّ على الإنفاقِ؛ لأنَّ اللّهَ تعالى قد أنعمَ عليهم بالرِّزقِ، وكتبَ لهُم ثوابَ الإنفاقِ منهُ، فالفضلُ لهُ سبحانَهُ في الابتداءِ والانتهاءِ.

فائدةُ اقترانِ ذِكْرِ السِّرِّ والعلانيةِ:

مدحُ عمومِ أحوالٍ وأزمانِ إنفاقِ المؤمنين

في اقترانِ ذِكْرِ السِّرِّ والعلانيةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ إشارةٌ إلى أنَّهم يُنفقونَ في جميعِ الأحوالِ، وعلى الدَّوامِ[4]، وفي ذلكَ مبالغةٌ في مدحِهم بأنَّهم يواظبونَ على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 306.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 50.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 235.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 258.

الإنفاقِ، وإنْ أدَّى إلى نَفادِ المالِ[1]، ويلزمُ مِنْ ذلكَ: الحثُّ على الإنفاقِ في كلِّ حالٍ؛ ليصلَ العبدُ إلى مرتبةِ الَّذينَ يخشونَ اللّهَ حقَّ خشيتِهِ، فدلَّ الاقترانُ على عمومِ الأوقاتِ والأحوالِ، فلا وجهَ لتخصيصِ وقتٍ دونَ آخرَ، إلّا ما جاءَ الشّرعُ في الحثِّ عليه، والعمومُ هو الأولى عند ذهابِ مدحِ الخصوصِ.

غرضُ تقديمِ السِّرِّ:

الإنفاقُ علانيةً ممدوحٌ إذا دُفِعَ الرّياءُ وتحقّقَ الاقتداءُ

قُدِّمَ ذِكْرُ لفظِ السِّرِّ على لفظِ العلانيةِ في قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾؛ لأنَّهُ أبعدُ عن شائبةِ الرّياءِ[2]، فالنّفس تهوى أن يعرفَ النّاسُ مآثرَها، وعلى رأسها الكرمُ والجودُ، فكان تقديمُ السِّرِّ بهذا الاعتبارِ أقربَ للمدحِ والثّناء، ففيه تنبيهٌ على الإخلاصِ، وذِكْرُ العلانيةِ للإشارةِ إلى أنَّهم لا تَصُدُّهم رؤيةُ المشركينَ عن الإنفاقِ، فهم قد أعلنوا بالإيمانِ وشرائعِ الدّينِ، أحبَّ مَنْ أحبَّ، أو كَرِهَ مَنْ كَرِهَ[3]، فالمدحُ في أعمِّ أحوالِ السّرِّ، والإعلانِ فيه مدحٌ عظيمٌ إذا اعتُبِرَ فيه دفعُ شائبةِ الرّياءِ، والقدوةُ في نفوسِ الأقوياءِ.

بديعُ فنِّ الطِّباقِ:

الإنفاقُ بحسبِ المقصدِ والحالِ والمآلِ

السِّرُّ: الخفاءُ، والعلانيةُ: الجهرُ والظُّهورُ، وفي الجمعِ بينَهما في قوله تعالى: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ رعايةٌ لمُحسِّنٍ معنويٍّ، وهو الطِّباقُ، وفي ذلكَ ملاءمةٌ لمقامِ الحثِّ على الإنفاقِ؛ إذ يرسمُ الكلامُ صورتينِ متقابلتَينِ للمُنفقينَ؛ إحداهما: في الخفاءِ، والأخرى: في العَلَنِ، بحسَبِ ما يقتضيهِ الحالُ، فلا يبقَى لتاركِ الإنفاقِ عُذْرٌ، فمَن خشي على نفسِه الرّياءَ فعليه بالسِّرِّ، ومن أرادَ تحقيقَ مقصدِ الخيرِ في نفوسِ الأغنياءِ فعليه بالعلانيةِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 50.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 61.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 307.

بلاغةُ وضعِ الخبرِ موضعَ الإنشاءِ:

قولُهُ تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ خبرُ ﴿إِنَّ﴾، والخبرُ هنا مُستعمَلٌ في إنشاءِ التَّبشيرِ، كأنَّهُ قيلَ: ليَرْجوا تجارةً لن تبورَ، والتَّعليلُ بقوله تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ قرينةٌ على إرادةِ التَّبشيرِ[1].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالرَّجاءِ:

مع الإنفاقِ يقع الـرّجـاءُ دونَ القطعِ والجزمِ

جاء التّعبيرُ بمفردة الرَّجاءِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾؛ إشارةً إلى أنَّ العبدَ وإنْ بالغَ في الاجتهادِ، ينبغي عليهِ ألّا يغترَّ بعبادتِهِ، ولا يجزمَ بالثَّوابِ[2]؛ لأنَّهُ مَحْضُ فضلٍ مِنَ اللهِ، والعبدُ لا يجبُ لهُ على سيِّدِهِ شيءٌ[3]، وهو يفعلُ الطّاعاتِ وقلبُهُ وجِلٌ ألّا يُقبَلَ منهُ[4]، هذا مِنْ جهةِ العبدِ، وأمّا مِنْ جهةِ اللهِ تعالى: فهو سبحانَهُ أكرمُ الأكرمينَ، وفي الإخبارِ برجائِهم عِدَةٌ قطعيَّةٌ بحصولِ مرجوِّهم[5]، فما ظنُّكم بربِّ العالَمينَ؟!

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ:

العبدُ مُفتقِرٌ لربِّهِ يرجو النّجاةَ ويخشى الحساب

اختيرَتْ صيغةُ المضارعِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿يَرْجُونَ﴾؛ للدّلالةِ على أنَّ المرادَ الاستمرارُ[6]، وأنَّ رجاءَهمُ الفضلَ والثَّوابَ مِنَ اللهِ تعالى شأنُهم ودَيْدَنُهم، فهو مَقْصِدُ الحاجاتِ، ومُفيضُ الخيراتِ والرَّحماتِ، وهم مفتقرونَ إليهِ باستمرار، وهذا الاستمرارُ علامةُ الصّلاحِ، ونقاءُ السّريرة، فهم يرجون في دوامِ حالهم، ولا يستشعرون إلّا الرّجاء، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون: 60 - 61].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 307.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 62.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 50.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 365.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 152.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 62.

غرضُ التّنكيرِ:

عـدمُ تحديد كُنهِ التّجارة أو لتعظيمها

نُكِّر لفظُ ﴿تِجَـٰرَةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ للنَّوعيَّةِ؛ لأنَّ المرادَ نوعُ تجارةٍ لا يُعرَفُ كُنْهُهُ[1]، وليسَتْ كسائرِ التِّجاراتِ، أو للتَّعظيمِ، أي: تجارةً عظيمةَ الشَّأنِ.

بلاغةُ الاستعارةِ وفائدتها:

تصويرُ الأجر والثّواب بربح التّجارة أقربُ للمقصودِ وأرسخُ في الحضِّ على المطلوبِ

آثرَ النّظمُ الكريم استعمالَ مفردةِ التِّجارة في قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ استعارةً لتحصيلِ الثَّوابِ بالطّاعةِ[2]؛ لأنَّ التِّجارةَ طلبُ الرِّبحِ بالبيعِ والشِّراءِ، والرِّبحُ هو الفضلُ على رأسِ المالِ، وهنا شُبِّهَ تحصيلُ الثَّوابِ بالطّاعةِ، بتحصيلِ الرِّبحِ بالبيعِ والشِّراءِ، فذُكِرَتِ التِّجارةُ، وأُريدَ المشبَّهُ[3]، وقولُهُ: ﴿لَّن تَبُورَ﴾ - إنْ كانَ بمعنى: لن تكسُدَ - ترشيحٌ[4]، أو التِّجارةُ مستعارةٌ لأعمالِهم مِنْ تلاوةٍ وصلاةٍ وإنفاقٍ، ووجهُ الشَّبهِ: مشابهةُ ترتُّبِ الثَّوابِ على أعمالِهم بترتُّبِ الرِّبحِ على التِّجارةِ[5]، واستعمالُ التِّجارة في الاستعارة أبلغُ منها في الحقيقة، إذِ المقصودُ تشبيهُ ما يترتّب على الأعمال الصّالحة من الثّواب والأجر الكريم، بما يترتّب على التّجارة، ولمّا كان ما يترتّب على التّجارة ملحوظًا في دنيا النّاس، كان أقربَ لتصوّر المخاطَب المقصودِ، وفائدتُه أرسخُ في الحثِّ والحضِّ على فعل الخيراتِ، وهو مقصودُ السّياق.

سرُّ النَّفي بـ ﴿لَّن﴾ دونَ (لا):

(لن) أبلغ في النّفي؛ لنفيها الحالَ والاستقبال

استعملَ ﴿لَّن﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّن تَبُورَ﴾، دونَ (لا)؛ لأنَّها أبلغُ في النَّفي؛ لأنَّها لنفيِ الحالِ والاستقبالِ، والمعنى: لن تكسُدَ،

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 62.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 224.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 62.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 365.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 307.

ولن تَهْلِكَ بالخُسْرانِ أصلًا[1]، وذلكَ أنسبُ بمقامِ بيانِ ربحِ تجارةِ المؤمنينَ.

بلاغةُ المضارعِ المنفيِّ:

كـلّـمـا جـدَّ وسواسٌ جَدَّ له نفيٌ

عُبِّرَ بالمضارعِ المنفيِّ في قوله تعالى: ﴿لَّن تَبُورَ﴾؛ لإفادةِ استمرارِ انتفاءِ البَوارِ؛ لأنَّ المضارعَ يفيدُ الاستمرارَ، وإذا دخلَ عليهِ النَّفيُ أفادَ استمرارَ الانتفاءِ، وفي ذلكَ تقويةٌ لرجاءِ المؤمنينَ، وتأكيدٌ على أنَّ الخُسْرانَ لا يجدُ إلى تجارةِ المؤمنينَ معَ اللهِ سبيلًا، فإنَّ ممّا يخطر للأذهان ما يُثيره الشّيطانُ من وساوس عدمِ قبول الأعمال، قد يُقعِد العاملين عن العمل، فجاء النّفيُ لدفع هذه الأوهام، والاحتراسِ من هذه الأفهام، في الصَّدِّ لتلك الوساوس بالمضارعِ المنفيِّ، فكلّما جَدَّ وسواسٌ جَدَّ له نفيٌ.

بلاغةُ الاستعارة في مفردة البَوارِ:

أفلحَ مَن اشترَى الباقيَ بالفاني

وُصفَتِ التِّجارةُ في قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ بعدمِ البوارِ؛ للدّلالةِ على أنَّها ليسَتْ كسائرِ التِّجاراتِ الدّائرةِ بينَ الرِّبحِ والخُسْرانِ؛ لأنَّها اشتراءٌ باقٍ بفانٍ[2]، وهذهِ الصِّفةُ هي مَناطُ التَّبشيرِ والرَّجاءِ[3]، والبوار هو فَرْط الكساد، ولمّا كان الكساد يؤدّي إلى الفساد، عُبّر به عن الهلاك[4]، ففيه تشبيه التّجارة بشخصٍ نُفي عنه الهلاك، ورُمِزَ له بأحد لوازمه وهو نفي البوار، الذي هو الهلاك، من باب الاستعارة المكنيّة.

نوعُ اللّامِ ودلالتُها في ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾:

ثـوابُ اللـهِ خيرُ المقاصدِ

الظّاهرُ أنَّ اللّامَ في قوله ﷻ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ للتَّعليلِ، وهو علَّةٌ لانتفاءِ البَوارِ، أي: ينتفي عنها الكسادُ؛ ليوفّيَهم اللهُ تعالى أجورَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 152.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 152.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 307.
(4) الرّاغب، المفردات: (بور).

أعمالِهم، أو عِلَّةٌ لمحذوفٍ، والتَّقديرُ: فعلوا تلكَ الأعمالَ الصّالحةَ ليوفّيَهم[1]، أو علَّةٌ لـ ﴿يَرۡجُونَ﴾ المرادِ بهِ التَّبشيرُ، أي: بشَّرْناهم بذلكَ، وقدَّرناهُ لهُم؛ لنوفّيَهم أجورَهم[2]، وأيًّا ما كانَ فقد تعلَّقَتْ هِمَمُهم بالثَّوابِ، وتعلَّقَتْ إرادةُ اللّهِ تعالى بإكرامِهم وإثابتِهم.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ:

توفيةُ الأجورِ والزّيادةُ مِنَ الفضلِ يكونانِ يومَ القيامة

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾؛ لأنَّ توفيةَ الأجورِ والزّيادةَ مِنَ الفضلِ أمرانِ يكونانِ في المستقبلِ يومَ القيامةِ، والمضارعُ يدلُّ على الاستقبالِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالأجورِ:

استحقاقُ المؤمنينَ الأجرَ تفضُّلٌ من الكريم

جاء التّعبير باستعمال مفردةِ الأجرِ في قولِهِ تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ﴾؛ لأنَّهُ مختصٌّ بالخيرِ، فيكونُ مناسبًا لسياقِ تكريمِ المؤمنينَ، ولأنَّ فيهِ إشارةً إلى استحقاقِ المؤمنينَ لهُ، فهو بمنزلةِ الأُجرةِ الَّتي يستحقُّها العاملُ على عملِهِ، وهو استحقاقٌ صوريٌّ، وإلّا فالأجرُ في الحقيقةِ مَحْضُ فضلٍ وتكرُّمٍ منهُ سبحانَهُ بناءً على الوعدِ الكريمِ، وتسمية الفضلِ أجرًا فضلٌ آخر.

نُكْتَةُ الإضافةِ:

اختصاصُ الأجورِ بالعاملين

أُضيفَ لفظُ الأجورِ إلى الضَّميرِ الرّاجعِ إلى المؤمنينَ في قوله تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ﴾؛ للدّلالةِ على اختصاصِها بهِم، وأنَّها بمنزلةِ شيءٍ مملوكٍ لهُم، لا يكونُ لغيرِهم ممَّنْ لم يعملْ عملَهم.

بلاغةُ عطفِ ﴿وَيَزِيدَهُم﴾:

التّوفيةُ عدلٌ والزّيادةُ فضلٌ

قولُهُ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ﴾، ونُكْتَةُ هذا العطفِ: أنَّهُ ﷻ يُسبِغُ عليهم الفضلَ بأنَّهُ يزيدُهم على ما تستحقُّهُ أعمالُهم ثوابًا مِنْ كرمِهِ، وهو مضاعفةٌ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 258.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 307.

الحسناتِ[1]، فالتّوفيةُ إيماءٌ إلى العدلِ، والزّيادةُ إشارةٌ إلى الفضلِ، مع أنَّ كليهما من تمام الفضلِ الإلهيّ، والفيض الرّحمانيّ.

نوعُ ﴿مِّن﴾ ودلالتُها:

حرفُ ﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ للابتداءِ، وهي تفيدُ أنَّ ابتداءَ الزّيادةِ مِنْ فضلِهِ ﷻ؛ إذ لا فضلَ لغيرِهِ.

فائدةُ التَّعبيرِ بلفظِ الفضلِ:

جاء التّعبير بمفردةِ الفضلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ الزّيادةَ - وهي مضاعفةُ الحسناتِ - مَحْضُ إكرامٍ منهُ ﷻ، وليسَ لهُم فيها تسبُّبٌ أصلًا[2].

بلاغةُ موقعِ الفاصلةِ:

التَّوفيةُ والزّيادةُ مِنْ آثارِ رحمةِ اللهِ

قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ تعليلٌ لِما قبلَهُ مِنَ التَّوفيةِ والزّيادةِ، أي: غَفورٌ لسيِّئاتِ المطيعينَ، شَكُور لطاعاتِهم، يُجازيهم عليها أكملَ الجزاءِ، فيوفّيهم أجورَهم، ويزيدُهم مِنْ فضلِهِ[3]، وفيهِ تذييلٌ لهُ وتأكيدٌ[4].

غرضُ التَّأكيدِ:

الغُفرانُ والشُّكرانُ مِنْ شأنِ الرّحمن

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ بـ (إنَّ) واسميَّةِ الجملةِ؛ لزيادةِ المبالغةِ في تحقُّقِ الوعدِ، ببيانِ أنَّ الغُفرانَ والشُّكرانَ مِنْ شأنِهِ تعالى[5]، وأنَّهُ لا يَسَعُ النّاسَ إلّا عفوُهُ ومغفرتُهُ، ولو آخذَ أعبدَ العبادِ بما يقعُ مِنْ تقصيرِهِ لأهلكَهُ[6]، فتأكيدُ غفرانِه وشُكرانِه لبيانِ أنّه ﷻ يُعامل العبادَ بصفاته العليا، وأنَّ عليهم أن ينتبهوا لذلك في عباداتهم ورجائهم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 307.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 51.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 366.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 308.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 308.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 51.

نُكْتَةُ تقديمِ الغَفورِ على الشّكور:

التَّخليةُ مُقدَّمةٌ على التَّحليةِ

قُدِّمَت صفةُ الغَفورِ على الشَّكورِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾؛ لأنَّ التَّخليةَ مُقدَّمةٌ على التَّحليةِ، ولزيادةِ الامتنانِ، حيثُ بُدِئَ بما يتعلَّقُ بغفرانِ السَّيِّئاتِ، ثمَّ ذُكِرَ ما يتعلَّقُ بإثابةِ الطّاعاتِ.

نُكْتَةُ صيغةِ المبالغةِ:

اللهُ سبحانَهُ واسعُ المغفرةِ

جيءَ بصيغةِ المبالغةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾؛ للمبالغةِ في تحقُّقِ الوعدِ الكريمِ؛ لأنَّهُ مِنَ اللهِ سبحانَهُ المُتَّصفِ بأنَّهُ غَفورٌ شَكورٌ، أي: كثيرُ المغفرةِ، وشديدُ الشُّكرِ، أي: الإثابةِ على الطّاعاتِ[1]، والمبالغة جاءت في الصّفتين الجامعتين بين مغفرة التّقصير، والإثابة على الطّاعات؛ لبيانِ أنَّه ﷻ يُعاملهم بالفضل لا بالعدل، وبالإحسان لا بالميزان.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التِّلاوةُ والقراءةُ:

التِّلاوةُ خاصَّةٌ بالقرآنِ، والقراءةُ أعمُّ

التِّلاوةُ لا تكونُ إلّا لكلمتينِ فصاعدًا، والقراءةُ تكونُ للكلمةِ الواحدةِ، يقالُ: قرأَ فلانٌ اسمَهُ، ولا يقالُ: تلا اسمَهُ؛ لأنَّ التِّلاوةَ في الأصلِ إتباعُ الشَّيءِ الشَّيءَ، فتكونُ في الكلماتِ يُتبَعُ بعضُها بعضًا، ولا تكونُ في الكلمةِ الواحدةِ[2]، والتِّلاوةُ أيضًا تختصُّ بكُتُبِ اللهِ المُنزَلةِ، فهي أخصُّ مِنَ القراءةِ؛ فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليسَ كلُّ قراءةٍ تلاوةً[3]، وقد اختيرَ في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ لفظُ التِّلاوةِ دونَ القراءةِ؛ لأنَّهُ يدلُّ على المواظبةِ وتكشُّفِ الحقائقِ والمعاني للتّالي شيئًا فشيئًا؛ لأنَّهُ موضوعٌ لإتباعِ اللَّفظِ الثّاني للأوَّلِ شيئًا فشيئًا، بخلافِ لفظِ القراءةِ؛ فإنَّهُ موضوعٌ لجمعِ الحروفِ والكلماتِ، غيرَ ملحوظٍ في وضعِها معنى الإتباعِ[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 308.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 140.
(3) الرّاغب، المفردات: (تلو).
(4) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 14/ 462.

الجهرُ والعلانيةُ:

العلانيةُ: ضدُّ السِّرِّ، وأكثرُ ما تُستعمَلُ في المعاني دونَ الأعيانِ[1]، والجهرُ يقالُ لظهورِ الشَّيءِ بحاسَّةِ البصرِ أو حاسَّةِ السَّمعِ، أمّا البصرُ فنحوُ قولِكَ: رأيتُهُ جهارًا، وأمّا السَّمعُ فنحوُ قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرّعد: 10][2]، والجهرُ يقتضي رفعَ الصَّوتِ، والإعلانُ لا يقتضي ذلكَ[3].

العلانيةُ تغلب في المعاني، والجَهْرُ في المعاني والأعيان

وقد عُبِّرَ بالعلانيةِ هنا؛ لأنَّ الغالبَ في القرآنِ عندَ الحديثِ عن الإنفاقِ مقابلةُ السِّرِّ بالعلانيةِ، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: 274]، وقولِهِ: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الرّعد: 22]، وقولِهِ: ﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [إبراهيم: 31].

التِّجارةُ والبيعُ:

التِّجارةُ: التَّصرُّفُ في المالِ بيعًا وشراءً طلبًا للرِّبحِ، فهي أخصُّ مِنَ البيعِ؛ لأنَّهُ قد لا يكونُ لطلبِ ربحٍ[4]، وقد عُبِّرَ بها هنا؛ لأنَّها أنسبُ بكونِ المؤمنينَ يعملونَ الأعمالَ الصّالحةَ طلبًا للثَّوابِ، وكأنَّهم يتاجرونَ معَ اللهِ، وأيُّ تجارةٍ أربحُ مِنْ تجارةٍ تُؤدّي إلى النَّجاةِ مِنَ العذابِ؟!

التّجارة مقصودُها الرّبح، والبيع أعمُّ من ذلك

(1) الرّاغب، المفردات: (علن).
(2) الرّاغب، المفردات: (جهر).
(3) النّزهيّ، الفروق اللّغويّة، ص: 24.
(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (تجر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»